﴿وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾ [إبراهيم: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذكـرُ الـوعـد لـلـمـؤمـنـين المتوكّلين، بعد الوعيد بإهلاك الكافرين

وَعَدَ الله تعالى في الآية السّابقة الرّسل، ومَن آمن معهم بالنّصرِ على أعدائهم، وإهلاكِ الظّالمين، وأكمل وعده للمؤمنين بأنّه سبحانه سيُمكّن لهم في الأرض، ويسكنهم الأرض الّتي توعّد الأعداء بإخراجهم منها. ولا يكون ذلك إلّا لِمَن خاف الله وخشي وعيده الّذي توعّد به الكافرين، وعذابه لهم بما يستحقّون.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ﴾: جَذر الكلمة (سكن)؛ السَّكَنُ: المنزل، وهو المَسْكَنُ أيضًا. والسَّكَنُ: سكونُ البيت من غير مِلْك. والسَّكَنَ: السّكّان، والسُّكْنَى: إنزالُك إنسانًا منزلًا بلا كراء[1]. وسكنوا الدّار وسكنوا فيها، وأسكنتهم الدّار وأسكنتهم فيها[2]. وهذا معنى وعد الله ﴿وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ الّذي ورد في الآية دون تكلُّفٍ ولا كِراء.

2) ﴿مَقَامِي﴾: جذر الكلمة (قوم)؛ المَقامُ والمُقامُ؛ بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام؛ لأنّك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضمومٌ، وقوله تعالى: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ [الأحزاب: 13]؛ أيْ: لا موضعَ لكم وقُرئ: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ بالضّم؛ أيْ: لا إقامة لكم، وقوله تعالى: ﴿حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦﴾ [الفرقان: 76]؛ أيْ: موضعًا أو إقامة[3]. وقوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾ [البقرة:

(1) الخليل، العين: (سكن).
(2) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (سكن).
(3) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (قوم).

125]، وقوله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: 161]، أيْ: ثابتًا مُقَوِّمًا لأمور معاشهم ومعادهم. وقوله: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيّنة: 5]؛ فالْقَيِّمَةُ هاهنا اسم للأمّة القائمة بالقسط[1].

3) ﴿وَعِيدِ﴾: جذر الكلمة (وعد)؛ الوَعْدُ يكون في الخَير والشّرّ. يُقال: وَعَدْتُهُ بنفع وضرّ وَعْدًا ومَوْعِدًا ومِيعادًا، والوَعِيدُ في الشّرّ خاصّة[2]. قال تعالى: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾، قال ابن عبّاس: خاف ما أوعدت من العذاب، وقال الواحديّ: الوعيد اسم من أوعد إيعادًا؛ وهو التّهديد[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وعد الله تعالى رُسله: لَنُسكننَّكُمُ الأرض الّتي توعّدكم الكفّار بإخراجكم منها، ويكون ذلك بعد إهلاكهم. ولا يكون ذلك إلّا للمؤمنين، العارفين بمقام التّوكّل على الله، ولا يكون ذلك إلّا لِمَن آمن إيمانًا صادقًا لا يهتزّ، وخاف الله ووعيده، أيْ: مقامه يوم القيامة بين يدي ربِّ العالمين، وخاف عذاب الله للكافرين المُنكرين للدّين الحقِّ.

الآية تتميمٌ لوعد الله للمؤمنين المتوكّلين عليه

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة العطف في: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ﴾:

الواو حرف عطف لمُطلق الجمع، فيحتمل أن يكون قد حصل الفعلان في زمان واحد؛ وهما الإهلاك والسُّكنى، إلّا أنّ السُّكنى قُيّدت بقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، ويدلّ حرف الواو على السّرعة في الإهلاك والسُّكنى وكأنّهما حدَث واحد. وفي ذلك معنى السّرعة في تحقّق وعد الله ونصره، ويمكن أن يُلحظ فيه التّرتيب المُراد منه عدم حضورهم مشاهد الإهلاك.

إفادة السّرعةُ في تحقّق نصر الله تعالى لعباده المؤمنين

(1) الرّاغب، المفردات: (قوم).
(2) الرّاغب، المفردات: (وعد).
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/77.

معنى اللّام في ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ﴾:

في قوله: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ﴾؛ (اللّام) لام القَسَم، فائدتها التّوكيد، فلمّا توعّد الكافرون الرّسل والمؤمنين بإخراجهم من الأرض والدّيار، جاء القَسَم من الرّبّ العظيم بإهلاك الكافرين، وإسكان الرُّسل والمؤمنين في الأرض نفسها الّتي أُخرجوا منها.

وعدُ اللهِ عباده إسكانَهم الأرضَ الّتي رام الكفّار إخراجهم منها

فائدة توالي المؤكّدات ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ﴾:

توالتِ المؤكّداتُ وهي (لام القسَم) و(نون التّوكيد الثّقيلة) مضافًا إليها الفعل المضارع (نسكن) الّذي يُفيد التّجدّد بأسلوب المُتكلّم، فيظهر كمال الوعد للمؤمنين في إسكانهم أرضهم الّتي نشأوا فيها، ويتّسق ذلك كلّه مع قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾، إذ لا يستحقّ ذلك الوعدَ والإنجاز إلّا مَنْ خافَ مقام الله سبحانه فلا أصدَق من وعد الله للمؤمنين في نصرهم على عدوّهم.

لا أصدق من وعد الله للمؤمنين وتحقيق وعدهم بالنّصر

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ﴾:

يكون الوعد متجدّدًا من الله للأنبياء والرّسل، والّذين آمنوا معهمبسُكْناهم لتلك الأرض، وميراثها من الّذين كفروا بعد إهلاكهم، وما ذاك إلّا بصبرِ المؤمنين، وتوكّل المتوكّلين. وأنّ الوعد بإسكانهم مُتجدّدٌ إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها. فقد بات ذلك سنّةً كونيّةً أمميّةً ومجتمعيّةً.

وعدُ الله للمؤمنين دائمٌ إلى قيام السّاعة

تكرار ذِكْر ﴿ٱلْأَرْضَ﴾:

كرّر ذكر الأرض وأكّد بمؤكّدات متوالية على أنّه سبحانه سيُسكّن الرّسل ومَن تبعهم من المؤمنين الأرضَ الّتي هي أرضه تعالى، إنكارًا على ما قاله الّذين كفروا للرّسل ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾، فكرّر الأرض توكيدًا على أنّ الأرض لله يورثها مَن يشاء من عباده، وأنّ سُنّة الله في خلقه قد اقتضت أن يسكنها المؤمنون المتوكّلون على الله حقّ توكّله.

وعدُ اللهِ للمؤمنين بخلافة الأرض وعدٌ صادق غير مكذوب

معنى (اللّام) في (الأرض):

الأرضُ هي ديار قوم النبيّ المُرسَل من عند الله لهدايتهم

في قوله تعالى: ﴿وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ (ال) عهديّة لفائدة معنى (الأرض) ذاتها الّتي قصدها الّذين كفروا حين قالوا للرّسل: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ﴾، فهي الأرض الّتي كانت لهم سيادة عليها، وهم ينعمون بثمارها ومواردها، ويفرضون سلطانهم عليها، ويتّبعون ملّتهم فيها، دون أن ينازعهم فيها أحد، فوعدهم الله تعالى باستخلافهم على ذلك كلّه بعد إهلاك الكافرين، ونحوه ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف: 137]، ﴿وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ﴾ [الأحزاب: 27][1].

معنى ﴿مِنۢ﴾ في قوله ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾:

إهلاكُ الكافرين ضرورة لإسكان المؤمنين وإقامة دين الله

في قوله ﷻ: ﴿وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾، ﴿مِنۢ﴾ هنا لابتداء الغاية، وقد أفادت أنّ سُكناهم في هذه الأرض ستكون ابتداءً بعد هلاك الّذين كفروا؛ لأنّهم توعّدوا الرُّسل، والّذين آمنوا بالإخراج والإيذاء، فلا ينعم المؤمنون بالسُّكنى إلّا بعد هلاكهم، ولن يسكن الأرض أحدٌ بعد إهلاكهم إلّا المؤمنين.

عَوْد الضّمير في ﴿بَعۡدِهِمۡۚ﴾:

الكُفّار هم المقصودون بالإهلاك والإذهاب

يعود الضّمير في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ على الّذين كفروا، فيكون معنى ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾؛ أيْ: من بعد إهلاك الّذين كفروا، وزوال مُلكهم، وقال: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾؛ لأنّهم كانوا المُتحكّمين بهذه الأرض وخيراتها.

سرُّ فصل قوله ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ﴾:

مَن خاف مقام الله ووعيده يستحقّ ميراث الأرض

فقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾؛ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، وهو مُشارٌ به إلى توريث الأرض[2]. وفصل الجملة عن سابقتها للاتّصال التّامّ بين الجملتيْن، وسبب الفصل الاستئنافُ البيانيّ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/512.
(2) ابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3104.

جوابًا عن سؤالٍ مُقدّر: لماذا سيُسْكنهم الأرضَ من بعدهم؟ فكان الجواب: لأنّهم يخافون مقام الله ووعيده.

فائدة الإشارة للبعيد ﴿ذَٰلِكَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ﴾ إشارةٌ بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى البعيد؛ يعني إلى الموحَى به، وهو إهلاك الظّالمين وإسكان المخاطبين ديارهم، وبذلك الاعتبار وحّد اسم الإشارة مع أنّ المُشار إليه اثنان[1]. فيتحقّق الاثنان معًا كأنّهما أمر واحدٌ؛ أمّا كونه للبعيد فلإنزال البُعْد المعنويّ منزلة البُعْد الحِسّيّ؛ لأنّه وعد الله عزّ شأنه.

قد تأخذ المواجهة بين الحقّ والباطل زمنًا طويلًا

معنى اللّام في ﴿لِمَنْ﴾:

في قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ﴾ هي لام الجرِّ؛ وتكون مكسورة أو مفتوحة تدخل على الاسم الظّاهر، أو الضّمير فتجرُّه، ولها عدّة استخدامات منها: المِلكيّة والاستحقاق والتّخصيص، وكلّها محتمَلَةٌ هنا؛ فنصر الله تعالى يستحقّه مَن خاف مقامه ووعيده، وهو مُخصّص لهم.

وعدُ الله بتمليك حقِّ النّصر للمؤمنين

دلالة (مَن) في ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ﴾:

(مَنْ) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ﴾ اسم موصول بمعنى (الّذي)؛ أي: الّذي خاف مقامي، وفائدة الاسم الموصول هنا إرادة التّعظيم والتّعميم، فيشمل كلّ مَن خاف مقام الله تعالى من المؤمنين الّذين هم على الدّين الحقّ، ممّا أنزل الله من الرّسالات السّماويّة على الرّسل.

شمول عموم المؤمنين في هذا الخطاب

دلالة جملة الصّلة ﴿خَافَ﴾:

تدلُّ جملة صلة الموصول ﴿خَافَ﴾ على رسوخ صفة الخوف عند ذلك المقصود بمكرُمة الله تعالى، و(المقام) إمّا موقف الحساب، فهو اسم مكان، وإضافته إليه سبحانه لكونه بين يديه، وإمّا مصدر ميميّ، بمعنى: حفظي وقيامي لأعمالهم ليُجازوا عليها، أو مُقحَم

الخوف لا يُحمد إلّا من الله ومن مقامه سبحانه

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/307، والآلوسيّ، روح المعاني: 7/189.

للتّفخيم والتّعظيم كما يُقال: المقام العالي[1]. وخوف الله عقيدةٌ راسخة، والخوف لا يكون محمودًا إلّا من الذّات الإلهيّة، ومقامه العظيم سبحانه وقد ذكر ابن عادل في تفسيره ثلاثة أوجه في قوله: ﴿مَقَامِي﴾[2]: أحدها: أنّه مُقحم، وهو بعيدٌ؛ إذ الأسماء لا تُقحم. الثّاني: أنّه مصدرٌ مُضافٌ للفاعل. قال الفرّاء: ﴿مَقَامِي﴾ مصدر مُضاف لفاعله؛ أيْ: مقامي عليه بالحفظ. الثّالث: أنّه اسم مكان، قال الزَّجّاج: مكان وقوفه بين يدي الحساب، كقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الرّحمن: 46]، فأضاف قيام العبد إلى نفسه.

سرُّ الإضافة إلى ضمير العظَمة ﴿مَقَامِي﴾:

لا أجَـــلَّ ولا أعظم من مقام الله ﷻ

في إضافة المقام إلى ضمير العظَمة تعريف للمقام وجلالة شأنه هذا المقام، فلا أجَلّ من هذا المقام، وهو ممّا يقتضي التّفكّر فيه، والحرص على أن تكون الأعمال اليوميّة للفرد حائزةً على رضى الله تعالى لتكون مُنسجمةً مع خوف مقامه سبحانه. و﴿مَقَامِي﴾: موقفي، وهو الموقفُ الّذي يقفُ فيه العبادُ يوم يقوم النّاس لربّ العالمين، أو قيامي عليه، وحفظي لأعماله[3]. وقيل: لفظ (مقام) مُقْحَمٌ؛ لأنَّ الخوفَ من الله تعالى؛ أيْ: لمَن خافني[4].

نكتة عطف ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾:

مـــقـــام الـلـه مـخـتـلـف عـن وعيد الله تعالى

قوله: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ قال الواحديّ: الوعيد اسمٌ من أوْعَد إيعادًا وهو التّهديد، قال ابن عبّاس: خاف ما أوعدتُ من العذاب[5]. وقوله: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ وعيدي بالعذاب، أو عذابيَ الموعودَ للكفّار[6]. وذكر أولًا قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾، ثمّ عطف عليه قوله: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/307.
(2) ابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3104.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/39.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/190.
(5) ابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3104.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/39.

فهذا يقتضي أن يكون الخوف من الله تعالى مُغايرًا للخوف من وعيد الله، ونظيره: أنّ حُبَّ الله تعالى مغاير لحُبِّ ثواب الله، وهذا مقامٌ شريفٌ عالٍ في أسرار الحكمة والتّصديق[1]. لأنّ العطف يقتضي المغايرة، فكلتا الجملتيْن خبرٌ، وعطفُ الخبر على الخبر يقتضي المُغايرة في المعنى.

فائدة تكرار التّعبير بالخوف:

الخوفُ من الله قضيّة عقائديّة جوهريّة راسخة

تكرَّر التّعبير بالخوف في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ بغرض التّعظيم والتّخويف، والتّكرار أحدُ عَلامات الجمال البارزة، وهو مصدر دالٌّ على المبالغة، ويستدعي التّكرارُ كذلك التّأكيد، والتّذكير، فحدث من تكرار كلمة (الخوف) ترسيخ هذه المسألة العقائديّة؛ إذ إنّ الّذين كفروا لم يخافوا مقام الله، ولذلك فإنّهم أيضًا لم يخافوا وعيده، فتجرّأوا على رسل الله، وتوعّدوهم بالطَّرد، أو الإكراه على ترك دينهم.

نكتة تقديم خوف المقام على الوعيد:

خوفُ مقام الله يـؤدّي إلى خوف وعيده سبحانه

في الآية الكريمة ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ سبق خوفُ مقام الله وعيدَه لأنّه هو الّذي يُنْتج عنه خوف وعيد الله، فلولا خوفُ الله، وخوفُ مَقامه سبحانه ما كان شيءٌ يقتضي خوفَ وعيده سبحانه وهذا من قبيل ما يُسمّى بفنّ التّدلّي.

معنى الاستعارة في ﴿وَعِيدِ﴾:

الكفّارُ موعودون بعذابٍ أليمٍ يوم القيامة

في قوله تعالى: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ جاء لفظ ﴿وَعِيدِ﴾ على ظاهره ومتعلّقه محذوف، وجوّزَ أن يكون مصدرًا من الوعد على وزن (فعيل)، وهو بمعنى اسم المفعول؛ أيْ: عذابي الموعود للكفّار، وفيه استعارة الوعد للإيعاد[2]، فيكون المعنى: خاف ما وعدتُ به الكفّارَ من العذاب الشّديد.

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/78.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/190.

بلاغة القراءات في قوله: ﴿وَعِيدِ﴾:

إثـبـات الـيـاء وحـذفـهـا بين الوقف والوصل

ياء المتكلّم في قوله سبحانه: ﴿وَعِيدِ﴾ محذوفة للاكتفاء بالكسرة عنها في غير الوقف[1]، فوصل بياءٍ قَوله: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ ورشٌ عن نافِع، وحذفها جَميع الرّواة في الْوَصْل والْوَقْف[2]، فقرأها ورش ﴿وَعِيدِ﴾ وقفًا و(وَعِيدِي) وصلًا؛ ففي الحذف وقفًا الدّلالة على معنى الحُكم القاطع الّذي لا يتبدّل، فلَنْ يتبدّل ذلك الوعيد، وسوف يُلاقونه حقًّا. وفي قراءة (وَعِيدِي) وصلًا معنى استدامة العذاب الّذي سيصيب الّذين كفروا.

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/307.

(2) ابن مجاهد، كتاب السّبعة في القراءات، ص: 364، والدّاني، التّيسير في القراءات السّبع، ص: 135.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»